حوادث عين ابل

رواية شاهدة عيانية الاخت كليمنتين خياط

بلاد بشارة مقاطعة كبيرة يدعوها الفرنج بجليل العليا (Haute Galilée) واقعة في قضاء صور تمتدُّ من شمالي شرقي عكا الى نهر القاسمية جنوباً فشمالاً يحدُّها البحر غرباً وقضاء مرجعيون شرقاً . فيها السهل والوعر الحزون والبطون الاودية والجبال يبلغ عدد نفوسها نحو ٣٥،٠٠٠ منهم مسلمون معظمهم من اهل الشيعة ومنهم نصارى اكثرهم موارنة ثمَّ روم كاثوليك دون الاورثذكس يسكنون في نحو مائة قرية

ومن اهمّ قرى النصارى هناك قرية عينْ ابل الواقعة شرقي صور يبلغ عدد اهلها نحو ٢٠٠٠ اكثرهم موارنة وبينهم ايضاً روم كاثوليك وكلهم ذوو تقى وصلاح . ولراهبات قلبي يسوع ومريم في عين ابل دير أنشئ منذ نحو خمسين سنة وكثيراً ما يتردَّد اليها المرسلون اليسوعيّون لاقامة الرياضات التقويّة وقد انشأوا فيها المدارس لأحداث الصبيان والفتيات فاصبحت بذلك بلدة عين ابل من ازهر قرى بلاد بشارة ماديًا وادبيًا حتَّى حسدها على ازدهارها اهل الشيعة المقيمون في القرى المجاورة لها . ولمَّا جرت الحوادث الآتي ذكرها كان موجودًا في دير عين ابل اربع راهبات رئيستهنَّ الاخت الفاضلة كليمنتين خيَّاط الحلبيَّة الاصل وعنها نروي ما يلي

سوابق حملة المتاولة على عين ابل

كانت عين ابل لموقعها قريباً من قرى المتاولة الشيعيين معرَّضةً لمساوئهم الاَّ انَّهم كانوا غالباً يكتفون بسرقة مواشي اهلها ونهب غلَّاتهم واهانة من يلقونهُ منهم في طريقهم . وكان العينبليُّون بوصاية كهنتهم وعقلائهم يجتنبون كل سبب من شأنهِ ان يحرِّك غيظهم لينجوا كأنهم من توسُّط الدولة التركيَّة التي ترغب في هذه المشاجرات لتربح من الظالم والمظلوم معاً بالرشوة « والبخاشيش » . وبقيت الحال على

ذلك الى دخول الحلفاء سنة ١٩١٨ في بلاد الشام فتنفّس النصارى وأمّلوا النجاة من نير عبوديّة جيرتهم الثقيل

فلمّا كان العشر الثالث من تشرين الاوّل من العام الماضي بلغ الى عين ابل خبر قدوم القائد المغوار الجنرال غورو الى بيروت وما لقي فيها من الحفاوة والاكرام. فاجتمع اهل البلدة واتّفقوا على ان يقاسموا نصارى بيروت ولبنان افراحهم ففي عصر النهار المعيّن لمظاهرتهم اجتمعوا في ساحة كبيرة قدام حارة مارون وطانيوس شباط فتوارد الناس اليها بكل بهجة ونصبوا العلم الفرنسويّ وبازائه صورة الجنرال المطرّزة بيد الراهبات تحدق بها الزهور والحلي وتكتنفها الرايات الفرنسويّة ثمّ اخذوا يتلون القصائد والتقاريظ ويتغنّون بالاناشيد ويطلقون البنادق والاسهم النارية مرحّبين بقدوم الجنرال ومهنئين الدولة الفرنسوية على انتصارها. وانصرف الجميع بعد ساعات وقلوبهم طافحة بالفرح ثمّ انشأوا جمعية لنشر الحماية الفرنسوية. ولم يدروا انّ تلك المظاهرات سوف تكون قريباً سبباً لعداوة المتاولة وتجلب الدمار على بلدهم

فما مرّ علينا بضعة ايّام حتّى صارت الاخبار المكدّرة تتوارد علينا وتقلقنا. فانّ متاولة بلاد بشارة اتّفقوا مع عشائر بدوان الحولة وعصابات المنطقة الشرقيّة واخذوا يهجمون على قرى النصارى فينهبون ويسلبون ويقتلون ويحرقون. فاغاروا في تشرين الثاني على مرجعيون وحاصبيا البطيخ وطرسمحات وبارون وديردغاية وقانا الخ. وكانت نيتهم بعد هذه القرى الصغيرة ان يزحفوا الى اكبر منها ولا سيّما عين ابل ثمّ العواصم وهم يقولون : « سنذبح اهل هذه القرى في سوق بنت جبيل كما تذبح الخراف »

فما بلغت هذه الاخبار مسامع اهل عين ابل حتّى عوّلوا مع نصارى القرى المجاورة على اخذ الاحتياطات لنفوسهم فأوفدوا قوماً منهم الى ارباب الحكومة في صور ينذرونهم بما يتهدّد النصارى من الشرور فلم يجدوا اذناً صاغية وانّما نسبوا خوفهم الى الاراجيف الباطلة واعطوهم اسلحة قليلة للدفاع عن قريتهم فلم يطمئنّ بالهم ورجعوا الى وطنهم واستعدّوا بما لديهم من النشاط والهمّة لمقابلة العدوّ فابتاعوا ما امكنهم من الذخائر الحربيّة واخذوا يمرّنون شبّانهم على فنون الدفاع واستعمال الاسلحة فكانت الشبيبة تلبّي دعوة مدبّريهم بكل غيرة وتسهر ليلاً مع نهار على حراسة البلد حتّى في ليالي القرّ في فصل الشتاء.

وهم لعلى ذلك اذ اتاهم في احد الايام خبر تتويج الامير فيصل ملكاً على سورية مع رسالة الى اهل البلدة ورد فيها الامر ان يجمعوا كل الاسلحة وينصبوا العلم الشريفي . فكان جوابهم انهم يهنئون الامير بسمو مقامه لكنهم لا يمكنهم دفع سلاحهم ولا رفع العلم الا بامر حاكمهم الفرنسوي في صور . واذ طلب منهم حاملو الرسالة ان يدفعوا ٤٠٠ ليرة لملك سورية اجابوا : ليس لدينا مال نؤديه . فرجع الوفد على اعقابهم يتهددونا بالحرب . فاستعد الناس للحرب رجال ونساء صغار وكبار كل على ما تبلغ اليه يده من حجارة وعصي الخ . فلما لبثوا ان عادوا وهم من اشقياء المتاولة لينهبوا ويقتلوا لكنهم فروا هاربين لما رأوه من استعداد الاهلين وخروجهم الى محاربتهم بكل شجاعة واثنا ساقوا ما وجدوه من المواشي خارج البلدة

حملة الشبعين على عين ابل

بقينا في هذه الحال شهرا كاملا وكل يوم تاتينا الانباء بفظائع اهل الشيعة في كل جهات القضاء وهم يتخذون بازاء الحكومة كل طرائق المكر والخداع ليغروا في النصارى كنسانة بفضهم لا سيما بعد اجتماع شيوخهم وزعمائهم في الحجير في ٢٤ نيسان اذ صمموا النية على مهاجمة القرى التي لم يجسر المتاولة بعد ان يلحقوا بها ضررا وخصوصاً عين ابل ودبل ورميش وعلما لبسالة اهلها . فاستعدوا لذلك سراً لئلا يجدوا من يقوم في وجههم واشاعوا ان ذاك الاجتماع لمحاربة عصابات العربان وغيرهم

فلما كانت ظهيرة يوم الاربعاء ٥ ايار ما نظرنا الا الوفا من المتاولة يسيرون من بعيد الى جهة عين ابل وقد سبقهم بريد مع رسالة يقولون فيها : «لا بأس عليكم انا الجمع الوافد ابنا سبيل وقصدنا ان نمر عندكم لنذهب الى مزار النبي يوشع ثم نحارب عصابات الاشقياء» . فلعلم اهل ابل ببراءاتهم استعد شبانها لمحاربتهم وكادوا ان يطلقوا عليهم الرصاص لولا انهم نشروا العلم الابيض وصرخوا «اصحاب! اصحاب!» .

لكنهم لما اقتربوا من البلد الى مسافة ضرب الرصاص اذا بهم صوبوا بنادقهم على حامية البلدة فقتلوا منهم اثنين فناجزهم العينبليون القتال وكان دوي طلقات الرصاص يسمع من الجانبين كسقوط البرد على الزجاج ثم هجموا على البلد واستعدوا لحرق البيوت وكان اول بيت اجتمعوا عليه الحارة التي اقيمت في ساحتها حفلة

رفع العلم الافرنسي فرموا صاحبهُ بالرصاص من الشبّاك ثم هجموا على البيت وقتلوا من وجدوهُ فيهِ ثمَّ رشّوا عليهِ تنكة بترول واحرقوهُ بالنار فالتهب البيت وتصاعد لهيبهُ الى الفضاء حتّى صار جمرًا ورمادًا

وفي اثناء ذلك اتى الى ديرنا نحو ثلثين رجلًا من الاهلين بسلاحهم وصعدوا الى طابقهِ الاعلى وجعلوا يضربون من نوافذهِ المتاولة والتجأ ايضاً الى ديرنا قوم كثير من نساء وصبيان لينجوا من المذابح التي باشر بها المتاولة في انحاء البلدة . فأدخلناهم المعبد وحرضناهم على الصلاة الى قلب يسوع الاقدس ليردّ عنّا هذه البلايا . وكان بين الجمع كاهنان الخوري انطانيوس من دبل والخوري انطانيوس من عين ابل فصعد الواحد الى الحامية وبقي الثاني بين الجمع في المعبد . وكان الجمع المذكور يصلّون ويضربون صدورهم ملتمسين رحمة الله ومنهم من يلطم وجههُ وينتف شعر رأسهِ بقلب محروق على ما اصابهم . وكنّا نجتهد ان نقوّيهم ونحمد لظى صدورهم ونحرّضهم على التوبة والاستعداد للموت كشهداء الايمان . وكانت اصوات الصغار وعويلهم ممّا يفتت الاكباد فنلاطفهم ونقدم لهم الطعام

ثم صارت طلقات الرصاص تقترب من الدير فالتفتنا الى الكاهن وطلبنا منهُ ان يعطينا الحلّة عن خطايانا . فتلا الجميع فعل الندامة فارتفعت جلبة القوم وتصاعدت الزفرات وعمَّ البكاء كافّة الحضور وكأنّا نفتكر اننا بعد دقائق قليلة نُقتل او نُحرق فيكون نصيبنا كنصيب القتلى في جهات البلد

وفي تلك الساعة سمعنا طرقات متواصلة على ابواب الدير فحسبنا انهُ العدوّ فزاد قلقنا ثمَّ تناوبت الطرقات واذا بالطارقين يصرخون : افتحوا نحن اهل البلد . فلمّا فتحنا الدير تواثب اليهِ عدد كبير من الجرحى هذا الرصاص في جسمهِ وذاك مقطوع اليدين والآخر مضرَّج بالدم فغصّت بهم ساحة الدير والمدارس والطابق الاعلى . وابتدأ كلٌّ منهم يقصّ علينا قصّتهُ المفجعة ما اقشعرّت لهُ الابدان . فاسرعنا واحضرنا الماء والسبيرتو والشرائط من ثياب غسيل ذلك النهار فصرنا نسحب الرصاص ونضمّد الجراحات بين اصوات العويل وصراخ النساء والاولاد وترحّمهم على من قُتلوا وجُرحوا وهربوا هائمين في وجوههم

ولمّا غابت الشمس ارسلت الحامية فاخبرونا انَّ الذخائر نفدت عندهم ولم يبق لهم

ما يضربون به العدو وان الأولى بهم ان ينسحبوا مع الجرحى قبل ان يدركهم الاشقياء فخرجوا ونحن ندعو لهم بالنجاة وتبعهم الجمع النازل عندنا وسار كل منهم الى ناحية وكذلك سارت معهم احدى راهباتنا الاخت بربارة وهي من عين ابل لتخدم الهاربين . فبقينا ثلاث راهبات الرئيسة والاختان سلمتين طياح من غزير وانستازي ماريني من بغداد مع بعض النساء العجز بينهم الشماس انطانيوس الجثي الضرير . فطلبنا مشورته : « ما قولك اننهب نحن ايضاً او نبقى ؟ » . فاجاب قائلاً : « ان خرجتن فتاركن على الطريق لا محالة فالاجدر ان تبقين هنا ولا تهملن هؤلاء العجز وعلى الله الاتكال . فاثر هذا الكلام فينا وقدمنا نفوسنا فداء عن هؤلاء المساكين ومحبة بالرب يسوع

ثم دخلنا المعبد نصلي امام القربان وكان الكاهن نسي ان يخرجه وكان الشماس الضرير يصلي معنا وكلنا نطلب ان تتم مشيئة الله فينا في الحياة وفي الممات فبقينا كذلك الى الساعة التاسعة من الليل ولم تزل اصوات البنادق وجلبة الاشقياء وقرقعة ابواب البيوت المجاورة المحطمة بقنابل ورشاشات المتاولة تطرق اذاننا وترجف فرائصنا . وكان السكان جميعهم قد هربوا واقفلوا ابوابهم واثاثهم تركوا مرضاهم اذ لم يسمح لهم الوقت بنقلهم وكنا زرناهم منذ زمن قريب فاذاقهم المتاولة عند دخولهم امر العذابات واحرقوهم بالكاز والى اهلهم بعد ايام ليروا ماذا جرى لهم وجدوهم مجرحين مقطعين مشوهين بالنار بالعري التام بينهم النساء والشبان والشابات

ونحو الساعة التاسعة وصل الاشقياء الى ديرنا واخذوا يدورون حوله كالذئاب يتمرغون ويضجون ويطرقون على ابوابه فاشرت الى اختي الراهبتين ان تخرجا معي بكل هدوء لتختفي في قرنة تحت درج الدير ورافقتنا صانعتنا واسمها نجمة فلطمنا هناك ونحن نصلي الى قلب يسوع والى مريم سيدة النجاة ومار يوسف شفيعنا والى الانفس المطهرية وكان يقوينا هذا الفكر اننا نجد الله باوجاعنا ونكفر عن ذنوبنا واذا قتلنا نكون شهيدات ايماننا . وفي تلك الساعة سمعنا اطلاقهم القنابل على باب ديرنا وعلى مدخله الذي بقرب المعبد فارتج البيت لضربهم وتكسرت واجهة الزجاج التي فوق المدخل وانفتح الباب فدخلوا الى المعبد وكانت الساعة العاشرة من الليل فهللوا باصوات مرعبة كانهم ابالسة الجحيم ثم اخذوا يمزقون الصور ويكسرون

التماثيل الفضية والقناديل وحطموا شخص البتول المنصوب لاكرام شهرها المريمي وفتحوا بيت القربان الاقدس بكل قحة ورموا ما فيه من الصمدة المقدسة وداسوها بارجلهم النجسة وهم يصرخون : يا راهبات مرادنا ان نذبحكن ذبح الخلان! يا نصارى . . . يا فرنسوية !

فحدث ولا حرج بما اصابنا حينئذٍ من الخوف والجزع ونحن نسمع تجاديفهم وكأننا نرى كل ما يفعلون . ثم هجموا على الشماس الضرير وهو يصلي فضربوه وجرحوه وحاولوا قتله لكنهم تخلوا عنه لما قال لهم انه ضرير واعطاهم ما عليه من الثياب . ونحن وقتئذٍ في مخبأنا نقول بعضنا للبعض : « الآن يثبون علينا . فما العمل . نجنا يا رب »

النجاة

ونحن في هذا الفكر واذا بالصانعة وهي فتاة بسيطة جداً وغاية في التقى تقول لنا : فلتهرب من باب الجنينة لأنَّ هذا الباب من داخل الدير فقلنا لها : « اما سمعت كيف طرقوا كلّ الابواب وهم الان في وسط الدير يرمونك بالرصاص فتموتين » . لكنَّها لم تنتظر جوابنا بل خرجت للحال وذهبت تحت ستر الظلام وفتحت باب الجنينة دون ان تجد احداً فعادت الينا مسرعةً واخبرتنا بذلك وكأن ملاكاً اتى من السماء ليخلصنا من ايدي اولئك الوحوش الضارية . فتبعنا الصانعة دون وعي ولم نأخذ معنا شيئاً من اكل وملبوس ولم يكن علينا غير ثيابنا العتيقة . فاخرجتنا من الباب المذكور وافتكرنا ان نختفي في الجنينة الا انَّ لهيب بيوت الجيران ودخانهُ المتصاعد كان يُطلع علينا ويعمينا . فبقينا حيارى لا ندري ما العمل واذا بالصانعة ملاكنا المنظور في تلك الليلة اشارت الينا بان نتبعها لكي تأخذنا الى مكان امين . وكانت الساعة نحو الحادية عشرة من الليل الدامس . فقفزت امامنا كالظبية فوق سياج الجنينة ونحن في اثرها وهي تاتفقنا حين نقع ثم صرنا نتشبث بالصخور ونطفر في حُفَر الارض فنعلو تارةً ونهبط اخرى وثيابنا تتخرَّق بين الدغل والاشواك لكنَّنا لم نبالِ وكلّ همّنا ان نبلغ الى مأمن . وكنَّا نسمع غوغاء المتاولة « وزلاغيط » نسائهم اللواتي يجمعن اسلاب القرية وغنائمها ويمرّ في ضوء اللهيب اشباحهم كشياطين الهاوية . وكانت

الحيوانات نفسها تبدي همهمها وكان البقر يخور والديكة تصيح والكلاب تعوي والقرميد يتحطم عند سقوطه .

فمشينا نحو نصف ساعة حتى بلغنا الى شجرة وارفة الظل فاسترحنا قليلا ونحن نستتر تحت اغصانها الكثيفة لئلا يرانا احد والفتاة نجية تجس حولنا خوفاً من عدو يتربصنا . وبعد حين شاهدنا اللهيب يتصاعد من بيت قريب منا حتى مسنا شراره فقالت الصانعة : هيا بنا نسير الى مكان آخر فاننا على مسافة ساعتين من هنا مكانا اسمه بسبسه وعرا جدا قد هرب الناس اليه ليختبئوا فيه وانا اعرف الطريق : فالعجل العجل . فتبعناها بين الحجار والصخور والاشواك في وهاد وتلال نقع مرة ونقوم اخرى وقلبنا مقطوع من الخوف وظهرنا محاول من كثرة الرعبات ونحن لم نذق طعاما منذ الظهر . الا ان الفزع كان يطير الوجع . فكنا نسير في الغابات المقفرة والاودية المحجرة مساكن الوحوش التي كنا نسمع صوتها ومآوي الحيات حتى وصلنا بعد الجهد الجهيد وقطع النفس الى المكان المقصود وهو غور نهاية في الوعور تغطيه الاشواك ولا تكاد تأوي اليه اللصوص فكان وصولنا الساعة الواحدة بعد نصف الليل

وجدنا هناك قسماً من اهل عين ابل التجأوا اليه فسررنا بمشاهدتهم ولا سيما اذ رأينا معهم الاخت بربارة وكل فكرها فينا اذ رأت اللهيب في جهة ديرنا فظنت اننا ذهبنا ضحية النار فصارت تندب وتقول : قد احترقت الراهبات في الدير . ورفقتها يصرخون : يا رب نجِّ نجِّ الراهبات من الحريق . فلما وصلنا اليهم شكروا الله من صميم القلب على خلاصنا وعدوا ذلك اعجوبة من قلب يسوع

ثم اخذنا نتشاور مع الجماعة الى اين نذهب فغلب الرأي ان نسير الى قرية رميش فمشينا معهم في طرق غير مسلوكة لئلا يهتدي الينا الاشقياء . فكم اصابنا من عذاب الطريق حتى وصلنا عند الفجر الى رميش وكان الندى يتساقط على ثيابنا فبللها فصرنا نرجف ونتقفقف من البرد ونتلفلف بثيابنا العتيقة المتخرقة وكان أملنا ان نلقى فيها ما يمسك رمقنا فاذا بها فارغة ليس فيها دينار ولا نافخ نار فكل اهلها اذ سمعوا ما حل بمين ابل ولوا هاربين فلم نجد من يبرد غليلنا بكأس ماء او يسد جوعنا بكسرة خبز لاسيما الاولاد يستغيثون ويطلبون ماء وخبزا وليس من مغيث . الا اننا وجدنا في طرف القرية قوماً من اهل عين ابل كانوا سبقونا اليها فرارا من المتاولة فاخذوا يسألوننا

عن اهلهم وذويهم فافدناهم ما وقفنا عليه فكانت هذه الاخبار كسهام نافذة في قلوبهم أفجرت عيونهم سيولاً فشاطرناهم الاحزان

ثم قلنا لهم هيّوا بنا الى قرية اخرى نجد فيها شراباً وطعاماً . فمشينا الى قرية المنصورة ومنها الى غيرها ثمّ غيرها ونحن لا نجد في واحدة منها نصيراً ولا معيناً وكل الاهلين قد نجوا بنفوسهم من هجوم المتاولة وعرّتهم . . ثم واصلنا المسير حتّى دخلنا منطقة حماية الانكليز فوصلنا الساعة ١١ قبل الظهر الى قرية تدعى فُوطسة كان اهلها ايضاً تفرّقوا لخوفهم الّا اصحاب بيت واحد كانوا على وشك الفرار واذا بهم يطبخون الغداء دست لبنيّة ويخبزون المرقوق على الساج لزوّادتهم . وقد قدّر الله انهم كانوا من اصحاب الخير والكرم فلمّا عرفوا حالتنا من الجوع والعطش ونحن زهاء مئة نفس ترحّبوا بنا وقدّموا لنا ما حضر عندهم من حليب وزبدة وخبز ابيض ولبنيّة فأكلنا جميعنا ما قسمه الرب من خيره وخير الكرام وشكرناهُ تعالى على ما انعم وتمنّينا لاولئك المحسنين الف خير

ثمّ قام كلّ منّا متوجهاً الى حيث يؤمل لنفسه وآله اماناً وخلاصاً . امّا نحن فقصدنا الذهاب الى ديرنا في معليا من قضاء الانكليز بيد انّنا ما كنّا نعرف الطريق وليس من دليل يدلّنا . وكان قد قرب الظهر . فصرنا نمشي على التخمين حتى صادفنا رجلاً بعد ساعة فاستدللنا منهُ عن طريق معليا فأجابنا : هذه طريق صعبة جداً يقطعها اللصوص فلا يمكنكنّ سلوكها . فرجعنا الى القرية وسألنا الفلاحين والمزارعين عن طريق مسارة فكلهم يقولون : انّ سائر الطرقات مقطوعة . وصاروا يقصّون علينا الف حادث مزعج يجري كلّ يوم فيها . فاستولت علينا الحيرة والشمس تحرق اجسامنا بلهيبها ليس لدينا مظلّة نلطّف بها حرّها

فبينما نحن في تلك الحالة التعيسة اذا برجل مرّ بقربنا فتوسّلنا اليهِ بأرقّ الكلام واوقعهِ في القلوب ان يسير معنا الى معليا . فقال : كيف اسير معكنّ والطريق كلّها يقطعها اللصوص . فقلنا : وماذا يستطيع اللصوص ان يأخذوا منّا وليس لنا سوى هذه الثياب الاخلاق . قال : آتي بشرط اني انجو بنفسي اذا خرج علينا اللصوص اذ ليس لي من السلاح غير هذه العصا . فاتّكلنا على الله وابتدأنا ان نصلي على نيّة النفوس المنقطعة انتشفع فينا وتنجّينا من كلّ عدوّ . فمشى الرجل ومشينا وراءه وهو ينطّ

مثل العصفور ويقول: الحقوني واستعجلوا. فسرنا حفاة بين الحجارة والصخور والشمس تقدح في رؤوسنا. والرجل من مدة الى اخرى يقول: هنا امس قتلوا واحداً. وهنا نهبوا آخر. وفي هذا الممر اخذوا مواشي فلان. فكان كلامه يقطع قلبنا ويحلل ركبنا فضلاً عن الشوك الداخل في ارجلنا فكم كنا نقع ونقوم ونتقرع في سيرنا الاشواك النافذة في جوارحنا.

وكان برفقتنا امرأة من تلميذاتنا تربت في ديرنا مدة ١٥ سنة واعتنت بها الاخت سلستين عدة سنين وكانت قد ولدت طفلاً قبل ٢٠ يوماً تحمله وهي بحالة الضعف والطفل يبكي ويتململ كأنهُ اوشك على الموت فتخلفت عنا وهي ترثي لحالنا اكثر منها لحالها. فاسكتناها واخذت الاخت سلستين طفلها ولفتهُ بثيابها لتصونهُ من حر الشمس. فسرنا هكذا الى نحو الساعة ٥ بعد الظهر وقد اخذ منا التعب كل مأخذ وغلب علينا العطش لا سيما الاخت انستازي التي خارت قواها واضطجعها العطش وهي تتطلب بقلب مجروح جرعة ماء. فصبرناها بذكر يسوع على صليبه اذ صرخ: انا عطشان.. فصبرت مدة ثم رأت حالها في ضنك شديد كاد يُغمى عليها فلحقتها الام المرضع بنقط من حليبها ثم تقدمت الواحدة منا فاسرعت الى معليا وهي لا تزال على بعد نحو ساعتين فأتت بابريق ماء. فلما شربت الاخت امكنها ان تتبعنا الى القرية. والحق يقال اننا في هذه الساعات الاخيرة تكبدنا من العناء ما لا يفي بهِ وصف فكنا نرشف رشفاً من العباء والنَّصَب

وصلنا الى معليا بعد غياب الشمس ودخلنا دير اخواتنا في حالة يرثى لها وكانت رئيسة الدير الاخت اورسلا قد بلّغها خبر مصابنا مع تفاصيل نكبات عين ابل بواسطة كاهن القرية التي نزلنا فيها فسبقنا. فأثرت هذه الامور في جسمها الضعيف حتى وقعت على الارض صريعةً لا تعي. وكانت رفيقتها الاخت بلاجيا تعتني بها لا يمكنها ان تفارقها لتجد احداً يأتي لمساعدتنا. فكان دخولنا عليهما كوتى عادوا من قبرهم. فانعش وصولنا الاخت اورسلا فاسرعت هي والاخت بلاجيا الى الاعتناء بامرنا والدموع تجري من عيون الجميع وكان اوّل كلامها: الشكر لله على نجاتكنَّ سالمات! لقلبهِ الاقدس المجد الذي خلّصكنَّ بهذه الاعجوبة الباهرة!. فقضينا تلك الليلة في مداواة جروحنا وابدال ثيابنا وسدّ رمقنا فكأنّنا خلقنا لحياة جديدة

وفي اليوم الثاني ذهبنا الى ترشيحا لنستأجر مكارياً يأخذنا الى عكا . ونحن هناك اذ رأينا اهل معليا هجروا بلدتهم واتوا الى ترشيحا واكثر اهلها مسلمون سنيون يختمون اليهم من المتاولة مع متاعهم على رؤوسهم واطفالهم على اكتافهم . فراهبات معليا اذ رأين اهلها هاربين تبعنهم ولكثرة ازدحام الناس بقينا كلّ واحدة ضائعة عن رفيقتها الى ان وجدنا بعضنا بعد التفتيش الطويل وظللنا اياماً في ترشيحا نطلب مكارياً ليسير بنا الى عكا فلم نجده الّا في اليوم الرابع لكننا اسرعنا فأرسلنا تلغرافاً الى رؤسائنا في بيروت على يد رئيسة الناصرة في عكا مدام دي ريو الفاضلة املناهم بخراب ديرنا في عين ابل وبقرب وصولنا الى بيروت بحراً (١)

وجدنا في عكا اهناً ضيافة في دير راهبات الناصرة فاستقبلتنا رئيستهنّ مع اخواتها بكل لطف وحنوّ ولم يوفرن شيئاً من العناية بنا جازاهنّ الله كلّ خير . ومثلهن راهبات حيفا اخواتهنّ فبذلن كلّ وسع في خدمتنا وتعزيتنا عن مصائبنا وذلك مدة اثني عشر يوماً الى ان وجدنا مركباً ينقلنا الى بيروت . وكنّا اثناء اقامتنا في حيفا نزور كلّ يوم المهاجرين من عين ابل وعددهم نحو الالف ما عدا الذين هربوا الى صفد وصور والجش وجهات أخرى فكنّا نسمع منهم عن اهلهم وبيوتهم وارزاقهم اخباراً تثير الاشجان وتبدّد الاركان فنمزج دموعنا بدموعهم . وقد لقي هؤلاء المساكين في حيفا من كرم المحسنين وخصوصاً من عناية مطران عكا الفضال السيد غريغوريوس حجّار الشهير بحسناته ومحبّته نحو البؤساء كلّ المساعدات الممكنة ولم يحرمنا ايضاً من اسعافه بارك الله كلّ مساعيه الخيريّة وحقّق كلّ رغائبه الصالحة

ومنّ لقيناهُ في حيفا شمّاسنا انطانيوس الضرير الذي تركناهُ في معبدنا . اخبرنا انّ المتاولة في صباح تلك الليلة الهائلة هجموا كالذئاب على ديرنا وقضوا ثلثة ايّام ينقلون منهُ كلّ ما يحتويه من مؤونة واثاث وحاجات مدارس . ثمّ اضرموا فيه النار فحرقوهُ وهم يتغنّون بهذه الاقوال : « يا ما احلى كش العصفورة ! يا ما احلى سرق وحرق الديورة ! الخ اما هو فانتقل الى بيت امرأة ضريرة مثلهُ . كانت نجت لعلّتها ايضاً

(١) وفي اثناء ذلك عادت صاحبتنا نجمة بكل جرأة الى عين ابل ماشيةً لتنظر ماذا حلّ بأهلها فوجدت امها قد قُتلت وكانت مثال البر والتقى فدفنتها بيدها كئيبةً ودفنت غيرها من اهلها وعادت فلحقتنا بعد ان ذهبت الى صفد للاستخبار عن راهباتها

فاخذها معهُ وسارا متخاصرين الى كفر برعم اعمى يقود عمياء. واذا الشماس ذكي عالم كان سابقاً معلماً للاولاد محسناً لتفسير التعليم المسيحي فهداهُ ذكاؤهُ الى وجود طريقة للنجاة من ايدي الظالمين والى قطع المسافة بين عين ابل وحيفا ومنها الى بيروت وكان وصولنا الى بيروت في ٢٣ من ايار يوم عيد سيدة معونة النصارى التي استغثنا في هذه المحنة وأوصلتنا سالمات الى ديرنا القاصر

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل العاشر : الفنون الجميلة بين نصارى العرب : ١ الهندسة (تتمة)

﴿ الهندسة المدنية ﴾ قد اتسعنا في ذكر الهندسة النصرانية الدينية في عهد الجاهلية واوائل الاسلام بين العرب . وفي جزيرتهم ايضاً ابنية غيرها مدنية كالقصور والحصون وغير ذلك مما يشيدهُ الملوك والدولات لاغراضهم الخاصة او لشؤون مملكتهم . وهذه الآثار كثيرة في كل انحاء العرب ولاسيما في ممالكها الثلث اي التابعة في اليمن والمناذرة في العراق والغساسنة في الشام وورد شيء من ذكرها في الشعر الجاهلي والتقليد القديم وكشف على بعضها اصحاب الرحل الى جزيرة العرب في الحقبة الاخيرة . فهذه المباني لا يُعرَف لها غالباً تاريخ ولم تُذكر اسماء بُناتها ولا جرم انَّ للنصارى في قسم منها نصيباً صالحاً

وان باشرنا بالعراق وشمالي الجزيرة وجدنا في شعر الاسود بن يَعفر بعض قصور لآل محرّق ولبني إياد فقال :

ماذا اؤمل بعد آل محرّق تركوا منازلهم وبعد إيادِ
اهل الخَوَرْنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

فهذه القصور بُنيت للملوك نصارى وقد تولّى بناءها مهندسون نصارى ذكروا